علاقة علماء الكوفة بالسلطة في العصر العباسي الأول
(١٢٣-٢٣٢هـ/٧٥٠-٨٤٧م)

محمد أحمد حسين عبد المقصود

الملخص:-

يتناول هذا البحث علاقة علماء الكوفة بالسلطة العباسية خلال عصرها الأول . وتنبع أهمية هذا البحث من تأثير هذه العلاقة في المناخ السياسي والاقتصادي والعطاء العلمي في الدولة العباسية الأولى . وقد جاء البحثُ ليميز بين فريقين من العلماء : فريق من علماء الكوفة كانت لها علاقة بالخلافة العباسية ، سواء عن طريق تولي الوظائف والمناصب الرسمية مثل : وظيفة القضاء ، أو العمل كمستشارين للخلفاء والأمراء والولاة ، أو عن طريق العمل كمربين ومؤدبين لأولاد الخلفاء والأمراء، أو بتأليف الكتب والمصنفات التي استعان بها الخلفاء في إدارة شئون الدولة. وقد استشهد البحث بعدة شخصيات علمية من أصحاب هذا الاتجاه. وقسم آخر من علماء الكوفة كانت علاقته بالخلافة تتميز بالجفاء وعدم التعاون من قريب أو بعيد، لأسباب عديدة جاء ذكرها خلال البحث. وهذا الفريق لا شك أنهم علماء لهم وزنهم الكبير في التاريخ الإسلامي. وقد نتج عن هذا التوجه الأخير ظهور مدرسة فكرية كان لها أثرها في التاريخ الإسلامي عبر عصوره التالية. وبرغم من تصنيف هذا الفريق في جانب المعارضة السياسية للسلطة العباسية؛ إلا أن إسهاماته الحضارية كانت واضحة في العصر العباسي الأول. ومن هنا تتضح أهمية معالجة الأثر الفعلي لعلماء الكوفة في التوجيه السياسي والحضاري للدولة العباسية الأولى.

Abstract

This research deals with the relationship of Kufa scholars with the Abbasid authority during its first era. The importance of this research stems from the impact of this relationship on the political and economic climate and scientific benevolence in the first Abbasid state. The research came to distinguish between two groups of scholars: a team of Kufa scholars that had a relationship with the Abbasid caliphate, whether by assuming official jobs and positions such as: the position of the judiciary, or by working as advisors to caliphs, princes and governors, or by working as educators and discipliners for the children of caliphs and princes, or by authoring Books and compilations used by the caliphs in managing state affairs. The research cited several scientific

personalities from the owners of this trend. Another part of the Kufa scholars had a relationship with the caliphate that was characterized by estrangement and lack of cooperation from near or far, for many reasons that were mentioned during the research. There is no doubt that this group is a scholar of great weight in Islamic history. This last trend resulted in the emergence of a school of thought that had its impact on Islamic history through its subsequent eras. Despite the classification of this team on the side of the political opposition to the Abbasid authority; However, his civilizational contributions were evident in the first Abbasid era. Hence the importance of addressing the actual impact of Kufa scholars on the political and civilizational direction of the first Abbasid state.

مقدمة:-

تتجلى أهمية دور العلماء وأثرهم السياسي في قدرتهم على تحريك الأمة وتجييش طاقات أبنائها نحو هدفٍ ما سواء بإصدار الفتاوى ، أو الاشتراك بقيادة أي تحرك عملى مع أو ضد السلطة ؛ وذلك بسبب مكانة العلماء في قلوب الناس . فهم ورثة الأنبياء ، وملجأ الأمة عند وقوع الفتن والملمات. والدليل على ذلك ما رواه ابن سعد في طبقاته أنه قيل لعبد الرحمن بن الأشعث (ت٨٥هـ/٧٠٤م) عند قتاله للحجاج إذا أردت أن يستبسل الناس في القتال معك كما استبسلوا حول جمل عائشة، فأَخْرِجْ الحسنَ البصري للقتال معك [١]. وبالفعل أرسل ابن الأشعث إلى الحسن البصري وأجبره على الاشتراك معه في القتال الدائر بينه وبين الحجاج . فلما رأى الحسنُ فرصة للهرب، ألقى بنفسِه فى بعضِ الأنهارِ، حتى نجا منهم وكاد أن يهلكَ يومئذٍ [٢]. فهذا النص دليل على مدى قوة تأثير العلماء في أفراد المجتمع، الأمر الذي يجعلهم محط أنظار السلطة وأرباب السياسة. وفي نفس الوقت أيضاً يستطيع العلماء العمل بفاعلية على إخماد نار الفتن، التي ما كانت تخمد حيناً حتى تشتعل مرة أخرى لسبب أو لأخر. وهذا الدور الأخير لا شك أنه يأتي امتداداً لما كان عليه نهج الصحابة والتابعين ، من الحث على منع الثورة على الحكام وكف الأيدي وعدم إراقة الدماء والخوض في الفتن ما دام الأمر لم يصل إلى تعطيل الشريعة وتغييب أحكامها. وها هو ابن سعد يُوردُ لنا في طبقاته ما يتعلق بالتقرب من الحكام بما يرويه عن أحد أكبر علماء الكوفة وهو عامر الشعبي

(ت١٠٥هـ/٧٢٣م) إذ يقول: ما رأيتُ أحداً كان أعظم حلماً ولا أكفَّ عن الدماء من أصحاب عبد الله إلاَّ ما كان من أصحاب رسول الله[٣]. وهو يعني بذلك تلاميذ الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، الذي كانوا بمثابة صمام أمان المجتمع الكوفي من الفتن والاضطرابات. الذين شكلوا الطبقة الأولى من التابعين في الكوفة والتي امتدت أعمار بعضهم إلى منتصف القرن الثاني الهجري. أي عاصرت بدايات الدولة العباسية الأولى التي قامت في ١٣٢هـ/٧٥٠م. وعندما قامت الدولة العباسية قامت على السلطة الدينية، المتمثلة في تقديس الخلفاء. فالخليفة العباسي يحكم من وجهة نظرهم بتفويض إلهي فهو" ظل الله في الأرض"[٤]. ومن هنا كان لابد من الاستناد شرعية دينية لتحقيق مطلبهم في الحكم. ولذلك حرصت السلطة السياسية المتمثلة في خلفاء وأمراء بني العباس في العصر العباسي الأول على التواصل مع علماء الكوفة بشكل خاص لعدة أسباب: من أهمها كون الكوفة علوية الهوى تميل لأبناء علي بن أبي طالب. وهو الأمر الذي ظهر جلياً فيما سبق من وقوف أهل الكوفة مع ثورات العلويين ضد أبناء عمومتهم من بني العباس . فسعى العباسيون إلى محاولات السيطرة على علماء الكوفة؛ حتى يأمنوا جانبهم أو على أقل تقدير النجاح في تحييد موقفهم، وضمان عدم قيامهم باصدار فتاوى تؤيد الخروج عليهم، أو المشاركة في أي ثورات أو تحالفات تهدد بقاء سلطتهم .

ومن جانب أخر رأتْ الخلافة العباسية في تقربها من العلماء مظهراً من مظاهر الالتزام الديني أمام الرعية ؛ بحيث تضفي هذه العلاقة نوعاً من الشرعية الدينية على حكم العباسيين[٥]. وفي سبيل تحقيق هذه الأغراض حرص الخلفاء العباسيون على استغلال المكانة الروحية للعلماء عند العامة في تثبيت حكمهم . وذلك عن طريق إجبار بعض هؤلاء العلماء على تولى المناصب الرسمية في الدولة . لاسيما المناصب الدينية ذات الأهمية مثل القضاء. وبهذا يصبح تولي العلماء للمناصب الرسمية اعترافاً صريحاً بشرعية الخلافة العباسية. وأي معارضة لأحد من هؤلاء العلماء بعد ذلك يعتبر نكوص لبيعته ما يعرضه للسجن والتنكيل من قبل السلطة . بل قد يصل الأمر إلى استباحة دمه هدراً. وفي سبيل ذلك عمل الخلفاء والأمراء على ضم العلماء إلى مجالسهم في قصور الخلافة ودور الإمارة، واتخذوا من بعضهم مستشارين ومؤدبين ومعلمين لأولادهم. وقد تراوحت أساليب السلطة العباسية في الوصول لهذه الغاية بين الترغيب والترهيب في محاولات مستمرة للسيطرة على العلماء وضمان تحييد موقفهم .

وأما عن موقف علماء الكوفة أنفسهم من العمل مع السلطة وتولي الوظائف لهم؛ فقد كان موقفاً متبايناً بحسب اجتهد كل منهم فيما يراه أنفع لنفسه وللمجتمع الإسلامي. بحيث تشير المصادر إلى انقسام واضح بين العلماء في تعاطيهم مع السلطة، وطريقة التعامل معها. ففريق لم يرَ أيّ غضاضة من التعامل مع السلطة باعتبارها أمراً واقعاً لا مفر منه ؛ وذلك في إطار ما تفرضه الشريعةُ على الرعية نحو الحكام وذوي السلطة من النصح والإرشاد والسمع والطاعة لهم – ما لم يؤمر بمعصية — وهذا امتثالاً لأمر النبي:" الدينُ

النصيحةُ. قيل: لِمَنْ؟ قال:" لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[٦]. والأمر بالوفاء بالبيعة وطاعة ولاة الأمر – في غير معصية الله – وتقديم المشورة والرأي لهم . لقوله { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تُؤمنون بالله واليوم الأخر ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً }[٧]. وقول النبي :" السمع والطاعة حقٌ ما لم يُؤمر بالمعصية فإذا أُمر بمعصيةٍ فلاسمعَ ولا طاعةَ "[٨]. وكذلك ما جاء بالنهي عن شق عصا الطاعة، والتحذير من تفريق الأمة وتقسيمها إلى فرق وطوائف متناحرة، بعيداً عن مصلحة الإسلام والمسلمين كقوله :" من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مِيتةً جاهليةً، ومن خرج على أُمتي يضربُ بَرَّها وفاجِرَها، لا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهدِها فليس مني، ومن قاتل تحت رايةٍ عُمِّيَّةٍ، يدعو إلى عصبيةٍ، أو يغضبُ لعصبيةٍ، فقُتل فقتلَة جاهلية"[٩]. وعلى ضوء ما سبق كان لهذا الفريق من علماء الكوفة دورٌ فعَّال في الحياة السياسية إبَّان فترة العصر العباسي الأول. يتمثل هذا الدور في إبداء النصح والإرشاد للخلفاء والحكام فيما يتعلق بالأمور السياسية، خاصة ما يمس عقيدة الناس أو أمورهم المعيشية وأحوالهم الاقتصادية. وذلك عبر عملهم مع السلطة، وتولي الوظائف الرسمية لهم ولاسيما القضاء، وعن طريق العمل داخل أروقة قصور الخلفاء والأمراء كمؤدبين ومربين للأولاد هؤلاء الخلفاء والأمراء. والتأثير في شخصيتهم وطريقة التفكير لديهم. وأما الفريق الآخر من علماء الكوفة فقد تبنى موقفاً رافضاً للاتصال بالسلطة بأي شكل من الأشكال. حتى ولو كان مجرد الدخول على ذوي السلطة لتقديم النصح والمشورة لهم. وهو موقف قديم عُرف به بعض الصحابة والتابعين . بحيث تأثر بعض علماء الكوفة برأي أستاذ المدرسة الكوفية الأول عبد الله بن مسعود، فقد كان يُحذر تلاميذه ناصحاً إياهم بعدم التقرب من أصحاب السلطة فيقول: إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه، فيخرج وما معه دينه. فقال له أحد تلاميذه: كيف ذاك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: يرضيه بما يُسخط اللهَ فيه[١٠]. وإلى ذلك الرأي أيضاً ذهب الصحابيُّ نُبيط بن شَريط – وكان من نزل الكوفة واتخذوها موطناً – فعندما سأله ولدُه سلمةُ: يا أبَهْ، لو غشيتَ هذا السلطانَ فأصبتَ منهم وأصاب قومك في جناحك . فنصحه بما يحذره هو من عاقبة ذلك فقال : أيْ بُنيّ ، إني أخاف أن أجلس منهم مجلساً يُدخلني النار[١١]. وقد فضل كثير من العلماء حياة التقشف والزهد على أن يعملوا لدى أحدٍ من أرباب السلطة.

علماء الكوفة المتعاونون مع السلطة العباسية .

حرص الخلفاء العباسيون على تولية علماء الكوفة بعض المناصب الرسمية خاصةً " القضاء ". وقد صادفت رغبة الخلافة هذه قبولاً من بعض العلماء الذين لم يروا بأساً في تولي مثل هذه المناصب، ما دام العالم يرى من نفسه المقدرة على إدارة بعض شئون الحكم والقضاء . وأن الأصل هو وجوب مشاركة العلماء والفقهاء

في بناء دولة الحق والعدل، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب [١٢]. وفي ذات الوقت قد يكون التهرب من تحمل المسئولية فرصة لغير المؤهلين لأن يتبوَّؤا هذه المناصب ما يعودُ بالضرر على المجتمع والدولة الإسلامية ككل. لكن الأحداث التاريخية في العصر العباسي الأول أثبتت وقوع خلافات بين هؤلاء العلماء وبين أصحاب السلطة من الخلفاء والأمراء، اختلفت من عالمٍ لأخر في حيثياتها، ومداها، ونتائجها. ومن أشهر علماء الكوفة في العصر العباسي الأول الذين تركوا بصمات في الحياة السياسية :

- **عبد الله بن شبرمة الضبي(ت١٤٤هـ/٧٦١م) .**

هو عبد الله بن شبرمة بن الطفيل الضبي، ولد بالكوفة وأخذ العلم عن كثير من علماء عصره منهم: الصحابيين الجليلين أنس بن مالك، وأبي الطفيل عامر بن واثلة، كما تعلم أيضاً على يد أبي وائل، وعامر الشعبي، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وإبراهيم النخعي، وغيرهم[١٣]. وقد اتسم بالزهد ومكارم الأخلاق وقول الشعر، وجمع بين العلم والصرامة والحزم. وهو ما دفع العباسيين لاختياره والياً على اليمن قديماً، حيث مكث فيها طوال فترة ولايته دون أن يغنم منها أي مكاسب مادية. وعلى حد تعبير ابن شبرمة نفسه:" لم أستبدل بقميصي هذا قميصاً منذ دخلتُها". ثم بعد انتهاء ولايته على اليمن تم إسناد منصب قضاء الكوفة إليه، فصار قاضياً على سواد الكوفة وضياعها من أرض الخراج. وقد بلغ ابن شبرمة مكانة عظيمة عند أمير الكوفة عيسى بن موسى؛ بحيث صار لا يقطع أمراً دون مشورته. ولا يبيتُ الليل قبل أن يَسْمُرَ معه بصحبة ابن أبي ليلى وغيره من العلماء[١٤].أما عن دوره السياسي في خدمة الدولة العباسية في عصرها الأول، فقد لعب ابن شبرمة دوراً مهماً في دعم الدولة العباسية ضد محاولات الخروج عليها، وذلك عندما رأى الكوفة تثور على حكم العباسيين حتى كادت الأمور تخرج عن السيطرة – خلال ثورة إبراهيم بن عبد الله – أشار على الخليفة المنصور بأن يأتي إلى الكوفة بنفسه لمنع أهلها من الانضمام لصف إبراهيم بن عبد الله. وبالفعل كان حضور الخليفة المنصور إلى الكوفة بمشورة ابن شبرمة أحد أهم العوامل التي أدت إلى انفضاض الناس عن إبراهيم بن عبد الله، وإحباط حركته التي هددت حكم العباسيين، وشكلت مرحلة حرجة في بدايات دولتهم. وفي ذلك يقول ابن شبرمة : الأمر والنهي لا بالسيف تشهره *** على الخليفة إن القتل إضرار

غير أن المنصور لم يحفظ له هذا الجميل، فانقلب عليه وأراد قتله؛ ولعل السبب في هذا الانقلاب هو أن ابن شبرمة كان سبباً في إفلات أمير الكوفة عيسى بن موسى من مكيدة دبرها له أبو جعفر المنصور . وتتلخص هذه الحادثة عندما حاول الخليفة أبو جعفر المنصور أن ينقل ولاية العهد من أخيه عيسى بن موسى أمير الكوفة إلى ولده هو الأمير" عبد الله المهدي" [١٥]. وفي نفس الوقت يتخلص من أقوى الأمراء العباسيين المنافسين له على السلطة وهو عمه الأمير" عبد الله بن علي". وهنا قبض أبو جعفر المنصور على عمه

"عبد الله بن علي "، وأرسل به مُكبلاً إلى أخيه عيسى بن موسى أمير الكوفة، وأمره أن يتخلص منه بالقتل . فما كان من أمير الكوفة عيسى بن موسى – في هذا الموقف الذي لا يحسد عليه – إلا أن استشار ابن شبرمة قاضي الكوفة لتميزه بالذكاء والفطنة، فأعلمه ابن شبرمة أن هذه حيلة من الخليفة أبي جعفر المنصور ليتخلص من الرجلين في وقت واحد من عمه عبد الله بن علي، ومن أمير الكوفة عيسى بن موسى. ثم أشار ابن شبرمة على عيسى بن موسى أن يحبس عمه الأمير" عبد الله بن علي" ولا يقتله ؛ لأن أبا جعفر المنصور سيدعي أنه لم يأمر بقتله، ومن ثَمَّ ستكون له الحُجة في طلب القصاص من أمير الكوفة عيسى بن موسى . وأشار عليه أيضاً أن يرسل إلى الخليفة المنصور بأنه قد نفذ ما أمر به من قتل عمه "عبد الله بن علي". وهنا تحقق قول ابن شبرمة فادَّعى الخليفة المنصورُ أنه لم يأمر بقتل عمه الأمير عبد الله بن علي، وأراد أن يقتص من أخيه عيسى بن موسى ليتخلص منه هو الآخر. فلما وصل الأمر إلى القضاء أخرج الأميرُ عيسى بن موسى عمه الأميرَ عبدَ الله ابن علي من السجن، وتبين للخليفة المنصور أن أخاه عيسى بن موسى قد خدعه وأفشل مكيدته التي دبرها له. فبُهت المنصور وعرف أن ذلك من تدبير القاضي ابن شبرمه فعزم على قتله ، فأخفاه الأمير عيسى بن موسى وأرسل به إلى خرسان سراً من عيون المنصور. فظل ابن شبرمة متوارياً هناك حتى مات سنة ١٤٤هـ/٧٦١م[١٦]. وبذلك لعب ابن شبرمة دوراً أساسياً في إنقاذ حياة أمير الكوفة عيسى بن موسى من القتل على يد أخيه الخليفة أبي جعفر المنصور. ومن هنا كان منصب المستشار السياسي التي قام به شريك هو بلا شك من أخطر المناصب السياسية أثراً في الدولة العباسية خاصة في بداياتها الأولى .

- **محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى (ت١٤٨هـ/٧٦٥م) .**

وُلد بعد سنة سبعين للهجرة، ومات أبوه وهو صبي صغير، وعاش بالكوفة. ولما شب أخذ يتنقل بين أكابر علماء عصره يتلقى منهم العلم والحديث إلى أن بلغ مبلغاً من العلم أهَّله لأن يتبوأ قضاء الكوفة وفتياها في عهد الدولتين الأموية والعباسية. وقد ظل قاضياً على الكوفة بدايةً من توليته على يد أمير بني أمية على العراق " يوسفُ بن عمر الثقفي" إلى أن قامتْ الدولة العباسية فأبقوه في منصبه قاضياً للكوفة. ومكث في القضاء حتى بلغ الحُظوة والمكانة العالية عند أبي جعفر المنصور بحيث صار من خاصة جلسائه على مائدته[١٧]. وبرغم قربه من السلطة إلا أن العلماء جميعاً سواء الموافقين للسلطة أو المعارضين لها كانوا يقدرونه ويُنزلونه مكانة عالية، فها هو سفيان الثوري – برغم هجره للمتقربين من السلطة – كان يعترف لابن أبي ليلى بالفضل والفقه في الدين ويقول:" فقهاؤنا ابن أبي ليلى، وابن شبرمة "[١٨]. أما الإمام الذهبي – وهو صاحب نظرة ثاقبة وميزان دقيق في تقييم الرجال – فيعتبر محمد بن أبي ليلى نظيراً للإمام أبي حنيفة في الفقه والعلم[١٩]. بحيث شكل ابن أبي ليلى مع أبي حنيفة وغالب علماء الكوفة مدرسة فقهية لها سماتها

الخاصة تعرف بمدرسة " أصحاب الرأي" وهذا ما يؤكده ابن قتيبة عندما أورد ترجمة ابن أبي ليلى ضمن من ذكرهم في تراجم من أسماهم بـ " أهل الرأي" من الكوفيين[٢٠]. وقد عاش ابن أبي ليلى نحواً من ستة عشر عاماً في ظل الحكم العباسي اتسمت فيها علاقته بالسلطة بشيء من الاستقرار. ومن هنا تمحور الدور السياسي لابن أبي ليلى في العمل على استقرار أحوال الدولة العباسية الأولى ؛ من خلال شبكة العلاقات التي أقامها سواء مع الموافقين مع الدولة أو مع المخالفين لها. كما أنه خدم الدولة العباسية من خلال تحمله عبء الفتوى والقضاء زهاء ست عشرة سنة، مع نشره للعلم والفقه بين الناس.

- **الحجاج بن أرطاة النخعي(ت ١٤٩هـ / ٧٦٦م).**

كان أول من تولى قضاء البصرة في الدولة العباسية الأولى. وكذلك تولى منصب القضاء والإفتاء بالكوفة أيضاً [٢١]. وقيل بأنه قد تولى منصب قائد الشرطة [٢٢]. وكان من المقربين من أبي جعفر المنصور، بحيث استعان به ضمن الفريق المكلف بالإشراف على تخطيط وبناء بغداد. وقيل بأنه هو الذي قام بتحديد قبلة المسجد الجامع في بغداد عند نشأته؛ وذلك لمعرفته بفنون العمارة والهندسة. فضلاً عن كونه من علماء الحديث والفقه والدين [٢٣]. وبسبب ما تمتع به من قدرات عقلية وعلمية عظيمة اصطفاه أبو جعفر المنصور وجعله ملازماً لولده المهدي . وبذلك صار الحجاج بن أرطاة من خاصة المهدي يتبعه حيث ذهب ، واستمر على ذلك حتى نهاية حياته عندما مات في أحد الزيارات التي قام بها المهدي إلى مدينة الري سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م[٢٤].

وبرغم من تبوء الحجاج بن أرطاة للمناصب الرسمية في الدولة العباسية الأولى – إلا أن ذلك لم يثنه عن إلقاء دروس العلم، والقعود للطلاب في مجالس التحديث . وفي نفس الوقت أيضاً لم تمنع علاقته الوطيدة بالسلطة طلاب العلم والحديث من تلقى العلم على يديه[٢٥]. بل إن القارئ ليعجب عندما يرى أن سفيان الثوري – وهو المعروف بسوء علاقته بالسلطة والمقربين منها – كان يحُث بنفسه طلاب العلم على أن يذهبوا ليتلقوا العلم على يد الحجاج بن أرطاة فيقول:" عليكم به فإنه ما بقي أحدٌ أعرف بما يخرج من رأسه منه" [٢٦]. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على خطأ القول بالبعد عن كل من انتسب إلى السلطة من قريب أو بعيد . وأن الأمر يتعلق بمدى تأثير هذه العلاقة على أقوال العالم وفتاويه. ولو صح القول بالبعد عن كل من انتسب إلى السلطة؛ لضاع كثير من العلم الذي يحمله هؤلاء العلماء في حالة إذا ما هجرهم الناس. ولكان في نفس الوقت أبعد الناس عن العلماء المتعاونين مع السلطة هم التابعون وأتباع التابعين وهم محل الدراسة، ولم نرَ ذلك منهم؛ فتبين من ذلك أن العبرة بالأثر الفعلي لعلاقة العالم بالسلطة لا غير. ومن خلال تلك المناصب السابقة التي تولاها الحجاج بن أرطاة نستطيع القول أنه لعب دوراً سياسياً هاماً، في وقت كانت الدولة العباسية الأولى في أمس الحاجة إلى من يمد لها يد العون بالعمل معها في الشرطة والقضاء، والفتيا، ومباشرة العمل في بناء العاصمة الجديدة للدولة العباسية الأولى .

- **شريك بن عبد الله النخعي (ت١٧٧هـ/٧٩٣م) .**

وُلد شريك ببخارى سنة ٩٦هـ / ٧١٤م ، ثم نقله ابنُ عمه إلى الكوفة[٢٧]، حيث نشأ في قبيلة النَّخع التي أخرجتْ عدداً كبيراً من العلماء. ولما ترعرع شريكٌ وأصبح يُشار إليه بالبنان في العلم والفقه ، اختاره الخليفة أبو جعفر المنصور ليوليه قضاء الكوفة . حيث فوض المنصورُ واليهُ على الكوفة "عيسى بن موسى "[٢٨] في عرض منصب القضاء على شريكٍ. ولكن شريكاً رفض المنصب ولم يقبل. فلما علم بذلك الخليفة المنصورُ استخدم معه أسلوب الترهيب. فاستدعاه وعرض عليه القضاء مرة أخرى ، ولكن شريكاً تعلل بأنه غيرُ مؤهلٍ لتولي منصب القضاء. إلا أن المنصور كان يدرك مدى إمكانيات شريك العلمية وأن هذه خُدعة من شريكٍ ليتخلص من هذه الورطة ، فقال له : قد بلغني ما صنعتَ بعيسى ، والله ما أنا كعيسى[٢٩]. ثم أمر حاجبه الربيع أن يحبس شريكاً حتى يقبل القضاء، فقال الربيع لشريك: إنه لا يعفيك حتى تقبل[٣٠]. ومن هنا لم يستطع شريكٌ الصمود طويلاً أمام تهديد وضغط أبي جعفر عليه ، فقبل تولى القضاء مُجبراً. وإذا ما حللنا موقف شريك هذا وكيف أنه رفض أولاً قبول أيّ من المناصب الرسمية في الدولة، وجدناه متطابق مع الاتجاه العام لأكثر علماء هذا العصر. هو الخشية من الرضوخ تحت وطأة الإملاءات السياسية من السلطة الحاكمة، وعدم القدرة على معارضته لأيٍّ من هذه الرغبات، التي كثيراً ما تصطدم مع أحكام الشريعة. ما ينتج عن ذلك من عدم القدرة على إقامة العدل بين الناس التي هي أول واجبات القاضي. وهو أمر في غاية الخطورة في ميزان الشريعة الإسلامية يترتب عليه عقوبة أخروية كبيرة. فقد جاء في الحديث الشريف" من جُعل قاضياً بين الناس فقد ذُبِحَ بغير سكين"[٣١]. أي عرَّض نفسه للهلاك. ويُفسر ذلك ويُفصله ما جاء في الحديث الأخر "القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجلٌ عَرَفَ الحقَّ فقضى به، ورجلٌ عَرَفَ الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجلٌ قضى للناس على جهلٍ فهو في النار"[٣٢].

وفي تقديري أرى أن هذا الشعور هو ما كان يتملك نفس شريك بعد ما قبل القضاء قهراً وجبراً. ويمكن أن نلاحظ مدى تحسر شريك وتألمه من توليه لمنصب القضاء؛ وذلك من خلال رده على الصَّراف الذي كان يصرف له راتبه، فحينما ضايقه الصَّرافُ مُتهكماً عليه بأن الراتب الذي يتلقاه إنما هو في مقابل الفتاوى الدينية وليس ناتج عن تجارة من التجارات فقال له : إنك لم تبع به بزاً[٣٣]. فأجابه شريك على الفور – مُتحسراً– : والله بعتُ به أكبر من البز. بعتُ به ديني![٣٤]. فاعتبر شريكٌ قبوله لمنصب القضاء والعمل مع السلطة بيعاً للدين !. وبرغم هذا فإن لشريكٍ وقفات مشهودة أمام الحكام والولاة فيما يختص بإقامة العدل بين الناس والفصل في القضاء . فلم يكن يُحابي أحداً من أصحاب السلطة في قضاياه. حتى وصل به الأمر إلى سجن نواب والي الكوفة "موسى بن عيسى" حينما بعثهم نيابة عنه في إحدى القضايا . ولم يُفرج عنهم

حتى يأتيه الوالي بنفسه ليمثُل أمامه في مجلس القضاء، ولما قام الوالي بإخراج أعوانه من السجن بدون علم القاضي شريك، عزم الأخير على الرحيل إلى الخليفة في بغداد؛ ليستقيل من القضاء لعدم قدرته على إقامة العدل ، فما كان من الوالي إلا أن رضخ لإرادة القاضي وامتثل أمامه في مجلس القضاء[٣٥]. وقد تكررت منه مثل هذه المواقف العظيمة، فلم تمنعه هيبة السلطة من تحقيق العدالة في أروع صورها . حتى ولو كان الوالي ذاته هو الخصم أو المذنب. وربما ذلك هو ما يُفسر نقله من قضاء الكوفة إلى قضاء الأهواز بعيداً عن السلطة المركزية ورجالها في الكوفة وبغداد[٣٦]. ومع نصائح أقرانه من العلماء بترك المنصب، وتواصل الضغوط السياسية عليه قرر شريكٌ في النهاية الفرار من القضاء. ليعود إلى الكوفة مرة أخيرة ليقضي بها ما تبقى من أيام حياته التي لم تطل كثيراً حيث مات في ذي القعدة سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م، وقد تخطى ٨٢ سنة. ليكون شريك بذلك أهم العلماء والقضاة الذين أسهموا بشكل مباشر في إرساء قواعد العدل والإنصاف بين الناس، وهو ما يترتب عليه بشكل مباشر وجود حالة من الإستقرار الأمني والسياسي في الكوفة أثناء العصر العباسي الأول. إذ أن من أهم عوامل قيام الثورات والفتن والقلاقل هي انتشار الظلم والقهر في المجتمع، مما يجعل الدولة في حالة إهتراء وضعف وتفكك . وهذا ما حال دون حُدوثه شريك وغيره من علماء الكوفة حينما اعتلوا سُدة القضاء في العصر العباسي الأول .

- **أبو يوسف القاضي(ت١٨٢هـ/٧٩٨م) .**

هو يعقوب بن يوسف بن حبيب الأنصاري ، وُلد سنة ١١٣هـ/٧٣١م من أسرة فقيرة بالكوفة ، غير أنه كان محباً للعلم ، مُجِداً في طلبه . أخذ العلم عن كثير من علماء عصره مثل : هشام بن عروة ، والأعمش ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وحجاج بن أرطاة ، وابن أبي ليلى ، وغيرهم . إلا أنه اختص بملازمة أبي حنيفة الذي لاحظ فيه علامات النبوغ والنجابة ؛ فأحاطه برعايته وعنايته ، بل وأنفق عليه من ماله ، وجعله في منزلة أبنائه . وامتدت صحبتة أبي يوسف لأبي حنيفة زهاء ١٧ سنة. نهل فيها من علم أبي حنيفة وتأثر بعقله الفذ ورأيه الراجح. كما ولم تقتصر علوم أبي يوسف على الفقه وحده وإنما كان له باع كبير في علوم الحديث، والتفسير، والمغازي، وأيام العرب. كل ذلك أهَّله لأن يصبح من أبرز علماء وفقهاء العراق في عصره. ويلفت إليه أنظار السلطة بطلبه لتولي القضاء. فما كان منه إلا أن قبل المنصب مُتبعاً في قبوله هذا منهجاً مغايراً عن منهج شيخه أبي حنيفة الذي رفض ذات المنصب في زمن أبي جعفر المنصور. وترقى أبو يوسف في سلك القضاء حتى صار قاضي القضاة في عهدة ثلاثة من الخلفاء العباسيين هم: المهدي، وأبنائه الهادي والرشيد. ونال المكانة الرفيعة والحظوة الكبيرة عند الخلفاء العباسيين ولاسيما المهدي والرشيد، فكان هو أول من لُقب بقاضي القضاة وذلك لجلالته وعلمه[٣٧]. وأسندوا إليه مهمة تنظيم القضاء، والنظر في شئون القضاة. وأراد أبو يوسف أن يجعل للعلماء مكانة خاصة في الدولة لا يشاركهم فيها غيرهم ؛ فكان هو أول من فرض زِياً ولباساً خاصاً بالعلماء حتى يميزهم الناس عن غيرهم من العامة . وهو الأمر المتبع حتى

اليوم . وكان له دور كبير أيضاً في التأثير على الأمراء من خلال إشرافه على تربية ونشأة الوزير جعفر ابن يحيى البرمكي(ت١٨٧هـ/٨٠٢م)، بعدما ضمه الخليفة المهدي إلى أبي يُوسف لكي يتفقه ويتعلم علي يديه[٣٨].

ولما تولى هارون الرشيد الخلافة سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م عرف لأبي يوسف قدره وحفظ له منزلته؛ فكان يجتمع به في قصره ويتدارس معه المسائل الفقهية، ويصطحبه معه في كل أسفاره وغزواته[٣٩]. وكانت لأبي يوسف جهود مشكورة ودور هام في نصيحة الخلفاء والأمراء. وقد لخص أبو يوسف هذه التوجيهات في كتابه "الخراج" الذي كتبه بطلب من الخليفة هارون الرشيد. فأودع فيه أبو يوسف عدة نصائح للرشيد، فيما يختص بالعدل بين الناس، ومراعاة مصالحهم، وبشره بعظيم ثواب الله إن هو قام بحقهم، وأنذره عقابه إن هو ضيعهم وانشغل عنهم. يقول:"فاحذر أن تضيع رعيتك، فيستوفي ربُّها حقها منك، ويُضيعك بما ضيعت أجرك"[٤٠]. ويحثه أيضاً على إقامة الحدود، ورد الحقوق، ويحذره من الظلم وبطانة السوء فيقول:" وإضاءة نور ولاة الأمر إقامة الحدود، ورد الحقوق إلى أهلها بالتثبت والأمر البين، وإحياء السنن التي سنها القوم الصالحون. وجور الراعي هلاك للرعية، واستعانته بغير أهل الثقة والخير هلاك للعامة"[٤١]. وقد التزم أبو يوسف بهذه المبادئ إلتزاماً عملياً ظهر ذلك جلياً في أحكامه القضائية التى وصلتْ إلينا ؛ فكانت لا تأخذه لومة لائم في حكمه مهما بلغت مكانة المتخاصمين لديه. فلقد نقل لنا وكيع في "أخبار القضاة" أن أحد الناس خاصم الخليفة موسى الهادي في بستان له. فحكم أبو يوسف لخصم الخليفة لما معه من الحجة والبرهان، ولم يعبأ بمكانة الخليفة أو يحابه على حساب الحق[٤٢] .

ومن هنا نرى أن أبا يوسف كان له دورٌ علميٌ وثقافيٌ واقتصاديٌ عظيمٌ بتأليفه كتاب "الخراج" لهارون الرشيد، وهو كتاب ظل أصلاً يقاس عليه ومرجعاً في أمور الأرض والإقطاع والخراج داخل الدولة العباسية، بل والدول التي استقلت عنها. ونظراً لأهمية هذا الكتاب لأحد علماء الكوفة الكبار ألفه استجابةً لخليفة من أهم خلفاء العصر العباسي الأول، لذا نرى من الواجب أن نعرض لأهمية كتاب الخراج بشكل موجز. فهو كتاب فريد من أعظم الكتب التراثية التي تناولت مواضيع الاقتصاد الإسلامي. فلم يقتصر على أحكام الخراج فقط كما قد يتوهم من عنوانه، وإنما اشتمل على مواضيع عديدة ؛ حيث تضمن بياناً بموارد الدولة المالية على اختلافها حسبما جاءت به الشريعة وطريقة جمعها ، وكذلك وضح مصارف تلك الأموال. وهو في خلال ذلك يتناول كثيراً من المشاكل الإدارية والمالية والسياسية والاجتماعية، مع محاولة البحث لها عن حلول بما يناسبها من الأحكام الشرعية والاجتهادات العقلية . مُستنداً في ذلك على السنة النبوية المطهرة، وما جاء من أقضية عمر بن الخطاب ، فإن لم يجد مستنداً له من السّنة أَو من تطبيقات عمر، اعتمد على آراء أبي حنيفَة وابن أبي ليلى. ثمَّ يجتهد برأيه في النهاية محاولاً الوصول إلى حلول في ضوء مبادئ الشريعة ومقاصدها. ومما سبق يتبين لنا مدى الدور الخطير الذي قام به أبو يوسف القاضي في توجيه

السياسات العامة للدولة العباسية، من خلال العمل في سلك القضاء والفتيا ، وإسهاماته الكبيرة في تنظيم الشئون الإدارية للقضاة، أو من خلال رسم معالم السياسة المالية للدولة العباسية بوضعه كتاب "الخراج"[٤٣]، أو ببذله النصائح والإرشادات للخلفاء العباسيين الذين لازمهم في إقامتهم وأسفارهم، واشتراكه كذلك في تأديب وتعليم أولادهم، الذين أصبحوا خلفاء أيضاً فيما بعد .

- **محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (ت١٨٩هـ/ ٨٠٤م) .**

نشأ بالكوفة، وأخذ الفقه عن أبي حنيفة ، وسفيان الثوري، والأوزاعي، وتلميذ أبي حنيفة النجيب القاضي أبي يوسف. كما رحل أيضاً إلى الإمام مالك بن أنس بالمدينة المنورة ومكث عنده أكثر من ثلاث سنوات يأخذ الحديث عنه حتى أضحى أحد أهم رواة موطئه . ونبغ في العلم وبلغ فيه شأواً عظيماً. وقد استفاد منه كثير من طلاب العلم في مشرق العالم الإسلامي ومغربه ، وكان من أكثر أهل العلم إفادة منه الإمام الشافعي الذي أعجب به كثيراً، وتعلم منه فقه مدرسة أهل الرأي (الكوفيين)، فذكر أنه كتب عنه حمل بعيرين من الكتب في الحديث والفقه . وكذلك استفاد من التراث الفقهي للإمام محمد بن الحسن تلميذ الشافعي النجيب الإمام أحمد بن حنبل . وقد أهَّلتْ هذه المكانة العلمية محمد بن الحسن لأن يختاره هارون الرشيد قاضياً خلفاً للقاضي أبي يوسف[٤٤]. وكان كثيراً ما يصطحبه الرشيد في أسفاره، حتى مات بصحبته في إحدى زيارات الرشيد لمدينة الريِّ، وتوافق ذلك مع وفاة الكسائي أيضاً ، فحزن الرشيدُ عليهما حزناً شديداً وقال:"دفنتُ الفقه والعربية بالريَّ "[٤٥]. وقد ترك لنا محمد بن الحسن الشيباني تراثاً كبيراً من المؤلفات التي خدمت المكتبة العربية في العالم الإسلامي أجمع ومنها كتاب " المبسوط " ويُسمى أيضاً بـ "الأصل"، وهو من أوائل الكتب التي أُلفت في الفقه الإسلامي بشكل مستقل. ويتميز كتاب المبسوط، أيضاً بأنه من أهم كتب ظاهر الرواية [٤٦] المعتمدة في المذهب الحنفي ، والمرجع الأول لفقهاء الحنفية.

ومن أهم كتب الشيباني الأخرى كتاب " السير الكبير"، وقد سماه بالكبير تمييزاً له عن كتاب "السير الصغير" الذي ألفه الشيباني أولاً وجاء مختصراً عن الصغير. أما كتاب " السير الكبير" فهو آخر ما ألفه محمد بن الحسن الشيباني. وهو أحد أهم مفاخر أهل الكوفة في العصر العباسي الأول ، فهو أول كتاب في المكتبة العربية الإسلامية يتناول العلاقات الدولية وفق القيم والمبادئ الإسلامية، فقد ناقش فيه المنهج الإسلامي في معاملة غير المسلمين في وقت السلم ووقت الحرب، وسواء كان منهم من رعايا الدولة الإسلامية أو كان من المستأمنين الوافدين عليها من خارجها . وكذلك تناول مسائل الجهاد، والأسرى، والجزية والعشور، والمواريث بين المسلمين وغير المسلمين إلى غير ذلك مما هو مندرج تحت نظام العلاقات الدولية اليوم[٤٧]. وبسبب أهمية هذا الكتاب اهتم به الخليفة هارون الرشيد جداً واعتبره أحد أهم مفاخر عهده، وبعث ابنيه الأمين والمأمون إلى مجلس الشيباني لسمعوا منه هذا الكتاب مُشافةً. ولا ننسى أن الرشيد في تلك المرحلة التاريخية كانت له علاقات خارجية متنوعة سواء مع الإمبراطورية الرومانية الشرقية التي

عقد معها هدنة في عهد الإمبراطورة "إيرين" سنة١٨١هـ/٧٩٧م [٤٨]، أو مع الإمبراطورية الكارولنجية في فرنسا في عهد الإمبراطور شارلمان . وبالتالي كان في أمس الحاجة إلى مثل هذا الكتاب الذي يرسم ضوابط السياسة الخارجية للدولة العباسية الأولى مع جيرانها من الدول الأخرى. ومن كتب الشيباني الأخرى أيضاً كتاب " الجامع الكبير، و" الجامع الصغير"، و"الزيادات"[٤٩]. وبذلك نستطيع القول أن الشيباني قد قدم للدولة العباسية الأولى خدمات جليلة من خلال مؤلفاته الفقهية وتخريجاته العلمية، التي اتخذها الخلفاء والساسة العباسيون نبراساً يسيرون على هديه في رسم السياسيات الداخلية والخارجية للدولة العباسية .

ومن خلال ما سبق من نماذج لعلماء أوردت المصادر أنهم تعاونوا من السلطة ، سواء بتولى المناصب الرسمية مثل القضاء ، أو بالعمل كمؤدبين لأولاد الخلفاء والأمراء . تبين أن بعضهم قبل التعاون مع السلطة العباسية تحت الضغط مثل شريك بن عبد الله النخعي ، وحفص بن غياث حيث كانت العلاقة متذبذبة إلى حدٍ ما. بينما تميزت علاقة بين ابن أبي ليلى ، وأبو يوسف القاضي ، والحجاج بن أرطأة ، ومحمد بن الحسن الشيباني وبين السلطة العباسية بالقوة والمتانة . في حيث أن علاقة المفضل الضبعي بالسلطة العباسية في بدايتها كانت سيئة ثم تحولت إلى التعاون والتواصل. ونستطيع أن نستنتج من خلال العرض السابق أيضاً أنه كلما كانت الأحوال السياسية في الدولة في حالة استقرار وهدوء انعكس ذلك على علاقة السلطة بالعلماء ، وفي حالة وجد اضطرابات أو قلاقل كانت السلطة تنظر إلى أي تفاعلات يقوم بها العلماء مع المجتمع بعين الريبة والشك . إذ ترى السلطة أن هذا التفاعل قد يمثل تهديداً وجودياً للخلافة العباسية نفسها ، خاصة وأن الكوفة كانت أحد أهم معاقل العلويين المناوئين للعباسيين منذ تأسيس دولتهم التي أعلنوا عن قيامها من الكوفة المهد الأول لشيعة عليٍ وأبنائه من بعهده .

علماء الكوفة غير المتعاونين مع السلطة العباسية :-

إن كان هناك من العلماء من انخرط في سلك السلطة بالتعاون معها ، وقبول العمل تحت مظلتها ، فإنه في المقابل هناك فريق آخر من العلماء نأى بالنفس عن أي علاقة مع السلطة الحاكمة . ونظر هذا الفريق من العلماء إلى هذه العلاقة على أنها ليست مُجرد زهداً في الدنيا وزينتها ، فحسب وإنما لما ينتج عن الرضوخ للسلطة من فساد وفتنة في الدين . فكان جفاء السلطة صيانة للديانة من الميول والأهواء التي لا ينجو منها إلا قليل ممن دخلوا في خدمة الحكام والأمراء.غير أن الأمر لم يتوقف على جفاء هذه العلاقة وإنما تطور إلى النقد والإنكار حيث أن بعض العلماء كانوا ينظرون بعين الشك في شرعية السلطة القائمة. ما دفعهم إلى هجرها وتوجيه الانتقاد لها. فكانت المواجهة التى لابد منها . وفي هذا يقول عبد العزيز البدري:" مواقف علماء السلف الصالح رحمهم الله جميعاً، من حكامهم، في غلظة الكلام وشدة الانكار وعظيم المحاسبة ، ومن وصف العلماء لبعض حكامهم بالظلم والجبروت والغرور وبشيء من الابتعاد عن شريعة الإسلام .

التي أُمروا أن يحكموا بها حكمهم وسلطانهم ، وإن كان قد وقع من بعضهم ذلك ، إلا أنه قد حصل بهم من الخير الكثير للمسلمين ما لم يحصل مثله بمن جاء بعدهم"[٥٠]. وهذا لم يمنع من أن بعضهم قد انغمس في ملاذات الدنيا بعض الشيء ، مما دفعهم إلى اتباع الهوى في بعض الأمور . حرصاً على الحكم والسلطة. ومن ثم لم يخلُ حكمهم من مظالم دفعت العلماء لأن يقفوا في وجوههم منكرين عليهم تلك المظالم. وذلك لأن المقارنة كانت — بلا شك – قائمة بين هؤلاء الحكام وبين الخلفاء الراشدين في العهد الإسلامي الأول . وفيما يلي نماذج عن أهم رموز هذا الفريق من علماء الكوفة الذين اتسمت علاقتهم مع السلطة بالخلاف والجفاء إبان العصر العباسي الأول .

- **أبو حنيفة النعمان(ت ١٥٠هـ/ ٧٦٧م) .**

واسمه النُّعْمان بن ثابت بن المرْزُبان، أصله فارسي، وقيل بل عربي[٥١]. ولد في الكوفة سنة ٨٠هـ/ ٦٩٩م . تتلمذ على ثلة كبيرة من علماء التابعين. وكان أعظمهم عليه أثراً حمادُ بن أبي سليمان، ولذلك نجد أبا حنيفة يسمي ولده حماداً، اعترافاً بفضل شيخه عليه . كما وتتلمذ أبو حنيفة أيضاً علي يد التابعي الجليل عطا بن أبي رباح أحد شيوخ المدرسة المكية المتوفى سنة ١١٤هـ/٧٣٢م. وعلى يد أبي إسحاق السبيعي ، ومحمد بن المنكدر، وربيعة بن عبد الرحمن المعروف بـ " ربيعة الرأي " أحد شيوخ المدرسة المدنية ، وعلقمة بن مرثد ، وعامر الشعبي ، وغيرهم الكثير. عاش أبو حنيفة ٥٢ سنة من حياته في ظل الحكم الأموي . وتفتحتْ عينُه على ما أصاب العلويين من نكبات خصوصاً في الكوفة. بل هو نفسه قد أصابته محنة علي يد والي العراق للأمويين عمر بن هبيرة (ت نحو١١٠هـ/٧٢٨م) حينما أراد أن يُجبر أبا حنيفة على تولي القضاء فرفض ، فما كان من ابن هبيرة إلا أن عاقب أبا حنيفة بالضرب والتعذيب ، ولكنه لم يفلح في النهاية في تحقيق ما أراد . فاضطر ابن هُبيرة أمام ثبات أبي حنيفة وإصراره على موقفه أن يخلي سبيله بعد ذلك [٥٢]. بينما تكاد تُجمع الروايات التاريخية على أن ميول أبي حنيفة السياسية كانت متجهة نحو العلويين. شأنه في ذلك شأن غالب أهل الكوفة الذين عُرفوا بميولهم لآل البيت. وقد تمثل هذا الميل من جانب أبي حنيفة في تأييده لثورة " زيد بن علي زين العابدين " على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م. حيث قال أبو حنيفة عن ثورة زيد:" ضاهى خروجه خروج رسول الله يوم بدر"[٥٣]. بل هناك من الروايات ما ذهبت لأبعد من ذلك حيث ذكرت أن أبا حنيفة لما عجز عن الخروج مع " زيد بن علي" – لأمانات كانت عنده – أمده بعشرة آلاف درهم لتكون عوناً له وقوة في قيامه على بني أمية [٥٤].

وعندما قامت الدولة العباسية كان أبو حنيفة قد جاوز الثالثة والخمسين من عُمره ، ليكمل حوالي سبعة عشر عاماً الباقية من حياته في دولة بني العباس[٥٥]. ولا شك أنها كانت فترة في منتهى الحساسية والخطورة ؛ لأن العباسيين كانوا في صراع حامي الوطيس مع خصومهم. وعملوا على تثبيت دعائم حكمهم بشتى

الطرق . ومن هنا كانوا يأخذون الناس بالمظنة والشبهة . وبرغم ذلك لم يُخفِ أبو حنيفة موقفه المعارض لحكمهم. وقد تجلى موقفه هذا عندما قام محمد ذو النفس الزكية بالخروج على أبي جعفر المنصور سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م، إذ أعلن أبو حنيفة بميوله إليه؛ لدرجة خوف تلامذته من عواقب تلك الجرأة ؛ فقال له تلميذه زفرُ بن الهُذَيل مُحذراً:" ما أنتَ بمنتهي حتى تُوضع الحبال في أعناقنا.. !!"(٥٦). ويبدوا أن عُيون أبي جعفر المنصور في الكوفة – وما أكثرها – قد نقلت له هذه المواقف . فما كان منه إلا أن استدعى أبا حنيفة لبغداد ، بحجة توليته القضاء ليبدأ الفصل الختامي في حياة هذا الإمام العظيم . حيث رفض أبو حنيفة تماماً أي منصب يُعرض عليه، فهو صاحب التاريخ المعروف في رفض المناصب الرسمية . فما كان من المنصور إلا أن حلف عليه ليفعلنَّ . فحلف أبو حنيفة ألا يقبل. وهنا أراد الربيعُ حاجبُ المنصور أن يُوغر صدر المنصور على أبي حنيفة أكثر فقال: ألا ترى أمير المؤمنين يحلف !؟ فأجابه أبو حنيفة – بسرعة بديهته المعهودة وفطنته وذكائه المعروف– قائلاً: أميرُ المؤمنين على كفارة أيمانه أقدر مني على كفارة أيماني . فأمر به المنصور فحُبس في السجن. وإلى هنا تكاد المصادر التاريخية تتفق على صحة هذه الواقعة . ولكنها تختلف فيما تلى ذلك من أحداث . فهناك روايات تذكر أن أبا حنيفة عمل في عد الطوب اللبن– خلال بناء مدينة بغداد – ليتحلل المنصور من يمينه. ولكنها رواية غير ثابتة ؛ ولذلك انكر صحتها القاضي ابن خلكان ونسبها إلى العوام(٥٧). ولكن المؤكد أن أبا حنيفة مات بعد هذا اللقاء بقليل سواء مسموماً بإيعاز من المنصور، أو تحت وطئة التعذيب في السجن. ليسجل أبو حنيفة بذلك موقفاً صلباً من بني العباس في بداية دولتهم الأولى. وهو الموقف الذي بات يذكره له التاريخ ويحلله الدارسون والباحثون حتى اليوم(٥٨). ويعرب في ذات الوقت عن فكر مدرسة من العلماء لها قناعتها في التعامل مع السلطة الحاكمة .

– **سفيان بن سعيد الثوري(ت١٦١هـ/٧٧٨م) .**

كانت علاقة سفيان الثوري بالخلفاء والأمراء تتسم بالجفاء والفتور تارة وبالمعارضة والنقد والإنكار في أغلب الأحيان. خاصة مع أبي جعفر المنصور ؛ وذلك لكثرة نقد سفيان الثوري له . الأمر الذي أدى بالمنصور في النهاية لأن يضيق صدره من سفيان الثوري فأصدر أمراً خلال سفره إلى مكة بقتل سفيان وصلبه ، غير أن القدر لم يمهله حيث تُوفي المنصور في الطريق قبل أن يدخل مكة(٥٩). ومن طريف أخبار الثوري في معارضته للسلطة وأتباعها ما رواه الخطيبُ البغدادي في تاريخه : أن سفيان الثوري نزل بغداد فرأى رجلاً من رجال الشرطة الذين كانوا أداة قمعٍ وبطشٍ بيد السلطة ضد معارضيها ؛ ولكن بعدما تبدل به الزمان وغيره الحدثان(٦٠) فكبرت سنُه وضعُف جسدُه وذهب بصرُه وافتقر حتى أنه كان يسأل الناس الصدقة ، فأعطاه سفيان شيئاً ثم قال له : ليست هذه صدقةٌ عليك ، إنما هي شماتة بك ! (٦١). فهذا الموقف يبين لنا ما مدى نظرة سفيان الثوري للسلطة ورجالها . ولم يلزم سفيان الثوري نفسه بهذا الرأي فحسب، بل تعداه إلى

أقرانه من العلماء، حيث كان يلومُ من يعمل منهم في مناصب الدولة الرسمية ولاسيما القضاء . فنجده يشتد في لوم قاضي الكوفة " شريك بن عبد الله " أشد اللوم ، ولا يقبل منه اعتذاره بأنه مجبر على قبول المنصب، وتركه وذهب ولم يكلمه حتى مات . وكان سفيان إذا ذكر شريكاً بعد ذلك تأسف عليه ، وعلى قبوله لمنصب القضاء فيقول عنه : " أيّ رجلٍ كان لو لم يُفسدوه..![٦٢].

وفي خلافة المهدي العباسي تابع سفيان الثوري نفس النهج معه أيضاً ؛ فكان يدخل عليه وينكر عليه ما هو فيه من البزخ والإسراف، ويذكره بسيرة عمر بن الخطاب في الاقتصاد في النفقات ومحافظته على أموال المسلمين[٦٣]. فلما أكثر الثوري على المهدي بالإنكار والنقد ضاق صدرُه منه أيضاً وأراد قتله والتخلص منه، فهرب الثوري من العراق إلى مكة متوارياً بها . فنمى خبرُه إلى المهدي فأرسل إلى والي مكة " محمد ابن إبراهيم" في طلب الثوري . ولكن والي مكة كان يعلم بمكان الثوري في مكة، فبعث إليه " إن كنتَ تريد إتيان القوم ، فاظهر حتى أبعث بك إليهم ، وإلا فتوار". فاختبأ سفيانُ . ولما ضاقت الأرض عليه وخاف سفيانُ من غدر الوالي به هرب إلى البصرة. وهناك أقام بجوار عالم البصرة ومُحدثها الكبير" يحي بن سعيد القطان(ت١٩٨هـ/٨١٣م)" الذي ساعده كثيراً وكان يُدخل عليه طلاب العلم سراً عن أعين السلطة العباسية[٦٤]. وعندما فشا ذكره وخاف على نفسه من أن تصل يدُ السلطة إليه ؛ انتقل من منزله بجوار يحي القطان إلى منزل " الهيثم بن منصور الأعرجي ". وهناك نصحه حماد بن زيد[٦٥]– وكان من خاصة المقربين له – بإصلاح علاقته بالخليفة المهدي، وطلب منه أن يرحل إلى المهدي ببغداد ويقر له بالسمع والطاعة. وبالفعل راسل سفيانُ الخليفة المهديَّ ووزيرَه "يعقوب ابن داوود" يستأمنهما على نفسه . فقابلته السلطةُ بالترحاب والتقريب والكرامة. وعزم الثوري دخول بغداد والقدوم على الخليفة، إلا أن القدر لم يمهله لذلك ؛ حيث ألمَّ به مرضُ الموت وتُوفي بالبصرة سنة ١٦١هـ/٧٧٨م بعدما قضى أغلب حياته مطارداً متنقلاً بين العراق، والحجاز، واليمن، هارباً من السلطة التي ناصبته العداءَ وناصبها النقد والمعارضة على مدى فترة حياته التي بلغت زهاء ٦٤سنة. ومن خلال العرض السابق يتبين لنا من موقف سفيان الثوري تجاه أصحاب السلطة أنه كان مُعارضاً للسلطة وأنه يرى القرب منهم مضيعة للدين . خصوصاً في حالة عدم جرئة وقدرة العالم على تغيير المنكر أو مواجهة ظلم السلطان . ويدلل على ذلك الحوار الذي دار بين سفيان الثوري وبين يُونس بن مسمار الحنفي[٦٦] ؛ حيث أخذ سفيان يلومه على توليه بعض الأعمال الحكومية فقال له: يا يونس أسمنتَ البرذون[٦٧]، وأهزلتَ الدينَ!! . فقال له يونس: أنا والله أنفع للناس منك، أتكلم في المحبوس فيطلق ، ويجئ الملهوف فأعينه ، وأتكلم في الحمالة، وأسعى في الأمور[٦٨]. فهذا الرد المقنع من جهة يونس بن مسمار جعل سفيان يغير موقفه منه ، بل ويسلم عليه بعد ذلك كلما قابله. إذن فالأمر يدور حول قدرة العالم على عدم مُجارات أصحاب السلطة في ظلمهم أو تزيين الباطل لهم . لأن من ضرورات الحياة ومن مصالح الإسلام والمسلمين أن يكون هناك من يتكلم بلسانهم، ويرفع للسلطة شكواهم

، ويعمل على إزالة المظالم الواقعة عليهم . وبرغم من هذه العلاقة الجافة بين سفيان الثوري والسلطة العباسية إلا أنها لم تخرج عن نطاق الإنكار لما يقع منهم من مخالفات، ولم تتعد إلى الخروج عليهم ولذا يقول عنه الإمام الذهبي:" وكان يُنكر على الملوك، ولم يرَ الخروجَ أصلاً"[٦٩]. أنه أن معارضته كانت لا تتعدى نطاق النقد إلى المواجهة بالثورة والاشتراك في أي عمل عسكري ضد الدولة العباسية .

- **أبو إسحاق الفزاري(ت ١٨٦ هـ/٨٠٢م) .**

هو إبراهيم بن محمد بن أبي حصن ، عدَّه النسائيُّ من فقهاء الكوفة من تلاميذ سفيان الثوري[٧٠]. كان له دور كبير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى مع بعض أصحاب السلطة ، الذين عاقبوه مرة بالجلاد ٢٠٠ سوط لقيامه بنصحهم وإرشادهم؛ فغضب له إمام أهل الشام في وقته أبو عمرو الأوزاعي[٧١] وتكلم في هذه الحادثة بجرئة دون خوف من السلطات وعيونها. وكانت من صفات أبي إسحاق الفزاري أيضاً أنه شديد السطوة على المبتدعين في الدين لدرجة أنه كان يخرجهم من المصيصة [٧٢]– محل إقامته بالثغر– ولا يسمح لهم بالإقامة فيها[٧٣]. وفي نفس الوقت كان مُجانباً لأصحاب السلطة ومن يتصلون بهم ؛ لذا لم يكن يسمح لمن يتصل بأصحاب السلطة من أن يحضر مجالس العلم والحديث التي يلقيها على تلاميذه[٧٤]. غير أن هناك من الروايات ما يُشير إلى وجود علاقة بين أبي إسحاق الفزاري وبين هارون الرشيد ولعل ذلك من وجهة نظري يرجع إلى ما عُرف عن هارون من تقريب العلماء واهتمامه بإقامة السُّنة [٧٥]. إذاً في النهاية نستطيع القول أن علاقة أبي إسحاق مع السلطة لم تكن على ما يُرام ، وأنها اتسمتْ بالبعد والجفاء. إلا أن ذلك لم يمنع من التواصل مع الخلافة في أضيق الظروف لمصلحة شرعية ترجع إلى تقديره هو نفسه. كما أن إقامته في ثغر مهم من الثغور الإسلامية وهو ثغر"المصيصة" يعتبر دوراً عسكرياً هاماً قام به أبو إسحاق الفزاري، وإن كان ذلك بدافعٍ ديني في المقام الأول إلا أنه بلا شك قد جاء في مصلحة الدولة العباسية، خاصةً وأن أبا إسحاق الفزاري كان يعمل على الحفاظ على الوحدة الدينية في هذا المكان الحساس للغاية (الثغر)؛ عن طريق إخراج كل من يثير الفتن من المبتدعين من ثغر المصيصة، حتى لا يشغلوا المجاهدين عن دورهم المنوط بهم في الدفاع عن حدود الدولة الإسلامية . وبهذا يكون أبو إسحاق الفزاري قد لعب دوراً سياسياً وإن كان بطريقة غير مباشرة، بحيث تتماشى مع رؤيته تجاه السلطة وفي نفس الوقت العمل على خدمة الدين والدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول .

- **أبناء صالح بن حي بن صالح الهمداني الثوري:**

يُعتبر أبناء صالح بن حي الهمداني من أبرز الوجوه المعارضة للعباسيين في الكوفة من الفقهاء والمحدثين وهما: علي بن صالح(ت١٥١هـ/٧٦٨م)، وأخوه الحسن بن صالح (ت١٦٩هـ/٧٦٨م)وكانا توئماً يُضرب بهما المثل في النسك والعبادة والزهد. وكان أشدهم معارضةً للعباسيين هو الحسنُ بن صالح . وقد كان معاصروه

من العلماء يُشَبِّهونه بسعيد بن جُبير الأسدي (ت ٩٥هـ/ ٧٣١م) في العلم والفقه والزهد حتى عَقَّبَ الذهبيُ على ذلك فقال:" بينهما قدر مشترك، وهو العلم، والعبادة، والخروج على الظلمة تديناً"[٧٦]. ويقصد الذهبي بقوله" تديناً" أي اجتهاداً منه ومذهباً يراه حقاً . ولذلك لما سُئل أحمد بن حنبل عن " الحسن بن صالح " وثقه هو وأخاه "علياً" وقال:" ثقة، وأخوه ثقة، ولكنه قدم موته"[٧٧]. أي بما كان يراه من الخروج على سلطة العباسيين؛ بسبب ما صدر من بعض رجالها من جور وظلم. وهذا هو السبب الأول في مُعارضتهما للعباسيين . وأما السبب الأخر فيما ذهبا إليه من معارضة السلطة العباسية ، أنهما لم يَرَيا أحقيةً لبني العباس في تقلدهم لمنصب الخلافة . فقد كانت ميولهم علوية، لدرجة أن الحسن ابن صالح زوج ابنته من عيسى بن زيد بن علي. الأمر الذي جر عليه سخط العباسيين ونقمتهم؛ فعمل الخليفة المهدي على القبض عليه بكل السُبل فلم يُفلح . وظل الحسنُ مستخفياً بالكوفة مع صهره عيسى بن زيد لسبع سنين حتى مات سنة ١٦٧هـ بعد وفاة عيسى بن زيد بستة أشهر[٧٨]. وهكذا شكل أبناء صالح بن حي الهمداني مثالاً واضحاً في معارضة السلطة العباسية لدرجة متقدمة ، بحيث كانا مشاركين لمن قام بالثورة ضد الخلافة بالعمل المسلح.

عبد الله بن إدريس بن يزيد الأودي(ت١٩٢هـ/٨٠٧م) .

يُكنى بأبي محمد ، فقيه مُحدث ثقة عابد ورع . من كبار مُقرئي الكوفيين ، ولد سنة ١٢٠هـ/٧٣٧م . وكانت بينه وبين الإمام مالك بن أنس(ت١٧٠هـ/٧٨٦م) صلة وثيقة، حيث تأثر بفقه مالك وصار على مذهبه في الفقه، وفي نفس الوقت روى عنه مالكٌ ما جاء في موطئه من روايات وبلاغات عن"علي بن أبي طالب ". ونتيجه لهذا التأثر بمنهج أهل المدينة الفقهي ؛ نراه يعترض على قاضي الكوفة "شريك بن عبد الله النخعي" في بعض قضاياه. الأمر الذي جعل صدر القاضي يضيق به، مما عرضه للسجن ؛ حيث كان شريك من أعمدة مذهب أهل الرأي الكوفيين.

ولما كان هارون الرشيد مهتماً باختيار الكفاءات العلمية للمناصب الرسمية ومجالسه الخاصة ، صار يبحث عن أبرعهم وأفضلهم، سأل الكسائيَّ يوماً – وكان من جلسائه-: من أقرأُ الناس؟ فعدَّ الكسائيُّ ثلاثة علماء في مقدمتهم عبد الله ابن إدريس الأودي. فلما جمع هارون الرشيد معلومات وفيرة عن الأودي وعلم مقدار علمه وفقهه، كتب إليه يستقدمه من الكوفة إلى بغداد؛ فلما قرأ الأوديُّ رسالة الرشيد أُغشى عليه، وأصابه الهم والحزن لأنه كان يكره أيَّ علاقة مع السلطة أياً كان شكل هذه العلاقة. وعندما وفد الأوديُّ على الرشيد عرض عليه منصب القضاء، فرفض الأودي قبول ذلك وامتنع أشد الامتناع . وكيف له أن يقبله القضاء وهو الذي كان ينصح "حفص ابن غياث " بعدم تصدر المجالس في مسجد الكوفة حتى لا يلفت إليه الانتباه فيولى القضاء؟. فلمَّا رأى الرشيدُ إصراره على الرفض، صرفه وأرسل إليه عطيةً، فرفضها أيضاً، فطلب منه الرشيد أن يُحدث ابنه المأمون بما معه من الحديث الشريف، فرفض الأوديُّ أن يختص

المأمون بمجلس وحده دون بقية طلاب الحديث [٧٩]. ومن خلال هذا العرض يمكن أن نستنبط ما هو مغزى عبد الله بن إدريس الأودي من هذا التعامل بهذا القدر من الجفاء مع الخليفة الرشيد؛ الذي أدي إلى أن يدفع الرشيدَ نحو اليأس من قبوله أي منصب أو حتى أدنى علاقة بقصر الخلافة من قريب أو بعيد. حتى أن الرشيد نفسه غير اختياره مباشرةً من عبد الله بن إدريس الأودي إلى صديقه "حفص بن غياث "، فولاه القضاء فقبل به . والعجيب أن الأوديَّ لم يكتفِ برفضه القضاء وامتناعه عن اختصاص ابن الخليفة بمجلس التحديث. إذ نراه يقطع علاقته مع صديقه حفص بن غياث عندما قبل منصب القضاء، وأقسم ألا يُكلمه، بمجرد قبوله القضاء الذي رفضه هو ! .

- **الفضل بن دُكين التيمي (١٣٠-٢١٨هـ/٧٤٨-٨٣٣م)**

هو من أشهر علماء الكوفة الذين كانت لهم وقفات مشهودة مع السلطة العباسية خصوصاً في فتنة خلق القرآن[٨٠].وهو أحد أهم شيوخ الإمام البخاري(ت٢٥٦هـ/٨٧٠م) صاحب كتاب "الصحيح"، وشيخ أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، ويحي بن معين وغيرهم الكثير من كبار العلماء . وقد تعرض الفضلُ بنُ دُكين للاختبار والامتحان في قضية " خلق القرآن" ولكنه ثبتَ على مُعتقده الصحيح، ولم ترهبه التهديدات وقال:" أدركتُ الكوفة وبها أكثر من سبع مائة شيخ، الأعمش فمن دونه يقولون: القرآن كلام الله، وعنقي أهون علي من زري هذا"[٨١]. وهذا الموقف بالطبع من أبي نعيم ليس بالأمر السهل اليسير لمن يعرف طبيعة المرحلة التاريخية التي عاش فيها، وقوة صلة المخالفين بالسلطة؛ ما أدى إلى تعرض كثيرٍ من العلماء للمحن والتعذيب، كي يتراجعوا عن عقيدتهم في القرآن الكريم . وإنما التوفيق والثبات من الله .

الخاتمة:-

من خلال هذا البحث توصلت إلى عدة نتائج من أهمها أن دور علماء الكوفة قد اختلف من عالم لآخر فمنهم من نأى بنفسه عن المشاركة في الحياه السياسية برمتها، ورأى أن السلامة كل السلامة في اعتزالها مطلقاً. ومنهم من اتخذ – إن صح التعبير– صف المعارضة السياسية للسلطة القائمة ؛ بحيث كان لديه الشك في شرعيتها وأحقيتها للخلافة. ومن العلماء من كانت له مشاركة فعالة في الحياة السياسية عن طريق التواصل مع الخلفاء والأمراء. سواء عن طريق الدخول عليهم وإبداء النصح والمشورة لهم، أو المشاركة في مجالسهم الخاصة، أو بتوليتهم بعض الوظائف الهامة في الدولة كالقضاء أو الإفتاء أو غير ذلك من طرق التواصل. كما يرى الباحثُ أنه ينبغي على العالم أن يقدر المواقف حق قدرها، ويزن الأمور بميزان دقيق؛ بحيث تكون العلاقة بين العالم والسلطة علاقة متوازنة، قوامها الاحترام المتبادل، والتعاون فيما يعود على الأمة والمجتمع بالنفع والخير. وكذلك من نتائج البحث نستطيع أن نقول أن العالم إذا كان لا يرى من نفسه

المقدرة على الإصلاح، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ففي هذه الحالة لا بأس بأن يتفرغ لمهامه العلمية البحتة، وهذا لا شك دور أساسي منوط بالعلماء لا يؤديه عنهم غيرهم.

الهوامش :-

(١) هو الحسن بن أبي الحسن البصري (ت١١٠هـ/٧٢٨م) من كبار علماء البصرة في العصر الأموي ، اشتهر بالتفسير والحديث والفقه، مع الورع الشديد والزهد في الدنيا . وله وصايا وحكم قل نظيرها . وقد أفرد له ابن الجوزي مؤلفاً بعنوان " آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه ". عن سيرته راجع / إحسان عباس: الحسن البصري سيرته وتعاليمه وآرائه، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة، ١٩٥٢م .

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م): كتاب الطبقات الكبير ، ١١ جزء ، تحقيق د/ على محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠١م ، جـ ٩ ، ص١٦٤ .

(٣) ابن سعد : المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ١٣٤ .

(٤) حديث " السلطان ظل الله في الأرض " حديث ضعيف لا يثبت . فيه الربيع بن صبيح وهو راوٍ ضعيف ، وله إسناد آخر فيه مجهول . البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي(ت ٤٥٨ هـ /١٠٦٥م) :السنن الكبرى، تحقيق/ إسلام منصور عبد الحميد، دار الحديث - القاهرة ،٢٠٠٨م . باب فضل الإمام العادل ، جـ ٨ ، ص٣٩٩ ، ح [١٦٦٥٠] .

(٥) محمود بشار العبيدي: موقف أهل السنة من السلطة في العصر العباسي الأول، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠١٥م ، ص ٧٩ .

(٦) النووي، محيي الدين يحيى بن شرف النووي(ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م): صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة ، جـ ١ ، ص ٣٣ ، ح رقم (٥٥) .

(٧) النساء : ٥٩ .

(٨) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: صحيح البخاري، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، ط ١، ١٤٢٢هـ ، باب السمع والطاعة للإمام ، جـ ٤، ص ٣٩، ح رقم [٢٩٥٥] .

(٩) النَّسائيُّ : سنن النسائي ، دار مودة، ط ١، المنصورة، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م ، كتاب تحريم الدم، باب التغليظ فيمن قاتل تحت راية عمية، ص ٤٦٨ ، ح رقم [٤١١٤]، وقال محققه حديث صحيح .

(١٠) ابن سعد : المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٣٢٧ .

(١١) ابن سعد : نفس المصدر ، جـ ٨ ، ص ١٥٢ .

(١٢) عادل علي مفلح الرواشدة : العلاقة بين السلطة والفقيه (أبو حنيفة نموذجاً)، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، عمادة الدراسات العليا ، جامعة مؤتة – الأردن ، ٢٠٠٦م ، ص ٨٦ .

(١٣) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء ، تحقيق/ محمد أيمن الشبراوي ، دار الحديث- القاهرة ، ط١، القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، جـ ٦ ، ص ٤٢٢.

(١٤) ابن سعد : المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص٤٧٠.

(١٥) هو الخليفة المهدي بعد ذلك .

(١٦) الذهبي : المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٤٢٣.

(١٧) وكيع ، محمد بن خلف بن حيان(٣٠٦هـ/٩١٨م) : أخبار القضاة ، تحقيق/ سعيد محمد اللحام ، عالم الكتب ، (د. ت) ، ص ٥٨١ .

(١٨) الذهبي : نفس المصدر ، جـ٦ ، ص ٣١٤ .

(١٩) الذهبي : نفس المصدر ، جـ٦ ، ص ٣١١ .

(٢٠) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د . ت) ، ص٤٩٤ .

(٢١) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م): تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد)، تحقيق د/ بشار عواد معروف، ١٧ جزء، دار الغرب الإسلامي، ط١ ، بيروت، ٢٠٠١م، جـ ٩ ، ص١٣٧، ١٣٨ .
(٢٢) الخطيب البغدادي: نفس المصدر، جـ ٩ ، ص ١٣٩ .
(٢٣) الخطيب البغدادي : نفس المصدر، جـ ٩ ، ص ١٣٣ .
(٢٤) الري: أحد أهم مدن بلاد فارس، وتقع الآن ضمن ضواحي العاصمة الإيرانية طهران. حسين مؤنس:أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، ط١، القاهرة، ١٩٨٧م، ص١١٧.
(٢٥) الخطيب البغدادي : نفس المصدر، جـ ٩ ، ص ١٣٥ .
(٢٦) الخطيب البغدادي : نفس المصدر ، جـ ٩ ، ص ١٣٦ .
(٢٧) وكيع : المصدر السابق ، ص ٥٨٦ .
(٢٨) يقصد عيسى بن موسى ولي عهده قبل أن يخلعه ، وكان قد ولاه الكوفة لمدة ١٣سنة .
(٢٩) أي من خداعه لعيسى بن موسى أمير الكوفة، وتعلله بعدم تأهله لتبوء منصب القضاء، حينما عرضه عليه عيسى في بداية الأمر.
(٣٠) الذهبي : المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص٢٥٠ .
(٣١) ابن ماجه ، أحمد بن يزيد القزويني(ت٢٧٣هـ/٨٨٦م) : سنن ابن ماجه ، دار المودة ، ط ١ ، المنصور، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م ، باب ذكر القضاة ، ص ٢٤٦ ، ح رقم (٢٣٠٨) . وقال محققه (حديث صحيح) .
(٣٢) ابن ماجه : المصدر السابق . ح رقم (٢٣١٥) . وقال محققه (حديث صحيح) .
(٣٣) البزُّ : هو الثياب ، أو متاع البيت من الثياب ونحوها . وكانت الكوفة تشتهر بتجارته كما مر معنا. الفيروزأبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ/١٤١٤م) : القاموس المحيط ، تحقيق / أنس محمد الشامي ، وزكريا جابر أحمد ، دار الحديث - القاهرة ، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ، مادة (بز).
(٣٤) الذهبي : المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص٢٥١.
(٣٥) الخطيب البغدادي : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٣٩٥ .
(٣٦) وقيل أن الرشيد عزله عن قضاء الكوفة عندما وردها زائراً بعد توليه الخلافة. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٧ أجزاء، تحقيق/إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، (د . ت)، جـ٢ ، ص ٤٦٧.
(٣٧) ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي أحمد بن محمد العكري(ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق/ محمود الأرنؤوط ، دار ابن كثير ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، جـ ٢ ، ص ٣٧٠ .
(٣٨) الذهبي : المصدر السابق : جـ ٩ ، ص ٦١ – ٦٢ .
(٣٩) الذهبي : نفس المصدر، جـ ٧ ، ص ٤٦٩ - ٤٧١ .
(٤٠) أبو يوسف القاضي ، يعقوب بن يوسف بن حبيب(ت١٨٢هـ/٧٩٨م) : الخراج ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ص ٥ .
(٤١) أبو يوسف القاضي : المصدر السابق ، ص ٥ .
(٤٢) أخبار القضاة، ص٦٥١ .
(٤٣) انظر على سبيل المثال ما جاء في كتاب : الخراج ، ص ٧٥ .
(٤٤) الذهبي : المصدر السابق، جـ ٧ ، ص٥٥٥-٥٥٦. وقيل بأن الرشيد ولاه قضاء الرقة قبل ذلك بسنتين ١٨٠هـ/٧٩٦م . فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي ، ترجمة / محمود فهمي حجازي، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد ابن سعود ، السعودية،١٩٩١م، جـ٣ ، مج ١ ، ص ٥٥ .
(٤٥) الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشافعي(ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م): طبقات الفقهاء، تحقيق/علي محمد عمر ، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، القاهرة ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ١٢٩ .

(٤٦) ويقصد بظاهر الرواية ، أي أن ما فيها من روايات عن أبي حنيفة وأصحابه يقدم على غيره من كتب المذهب الأخرى .
(٤٧) انتبه لأهمية هذا الكتاب الباحثون الغربيون فقد اطلع عليه الباحث الهولندي " هوغو جروسيوس Hugo Grotius "(١٥٨٣-١٦٤٥م) مؤسس علم القانون الدولي العام أثناء نفيه إلى تركيا سنة ١٦١٨م . وقد تأثر به كثيراً أثناء تأليفه لكتاب" الحرب والسلم ". وللمزيد عن محمد بن الحسن الشيباني وسيرته وتراثه انظر/ محمد زاهد الكوثري : بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .
(٤٨) Vasiliev : The Byzantine Empire, Madisom, 1952, p. 237.
(٤٩) فؤاد سزكين : المرجع السابق، جـ ٣ ، مج ١ ، ص ٥٦- ٧٨ .
(٥٠) عبد العزيز البدري : الإسلام بين العلماء والحكام ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ، ص ١٢-١٣ .
(٥١) ناجي معروف العبيدي: عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد ، (د ت)، جـ١ ، ص٤٣ . وقد ذهب إلى أن أصل أبي حنيفة عربي محض.
(٥٢) وقد حكم بصحة هذه الرواية العلامة المحقق د/ بشار عواد معروف خلال تحقيقه لتاريخ بغداد ، جـ ١٥ ، ص٤٤٨ .
(٥٣) الكردري ، ابن البزاز محمد بن محمد بن شهاب (٨٢٧هـ/١٤٢٣م) : مناقب الإمام الأعظم ، دائرة المعارف العثمانية ، ط١ ، حيدر أباد الدكن ، ١٣٢١هـ ، جـ ١ ، ص ٢٥٥ .
(٥٤) الكردري : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٥٥ .
(٥٥) عادل علي مفلح الرواشدة : المرجع السابق ، ص ٦٤ .
(٥٦) الخطيب البغدادي : المصدر السابق ، جـ ١٥ ، ص٤٥٢ .
(٥٧) ابن خلكان : المصدر السابق، جـ ٥ ، ص ٤٠٦ . وقد ردد كثير من الباحثين هذه الرواية في رسائلهم دون تمحيص أو تحقيق .انظر على سبيل المثال/ علاء حسين ترف: أساليب الدولة العباسية في تثبيت السلطة حتىعصر المتوكل(١٣٢هـ-٢٤٧هـ)، رسالة دكتوراه(غير منشورة)، كلية الأداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٥م، ص١٨٩ .
(٥٨) يُراجع على سبيل المثال /عادل علي الرواشدة : المرجع السابق .ص٦٩.
(٥٩) الخطيب البغدادي : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص٢٢٨ .
(٦٠) الحدثان : الليل والنهار .
(٦١) الخطيب البغدادي : نفس المصدر ، جـ ١٠ ، ص٢٢١ .
(٦٢) ابن خلكان : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٦٥ – ٤٦٦ .
(٦٣) الخطيب البغدادي : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٢٢٨ .
(٦٤) ابن سعد : المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٤٩٣- ٤٩٤.
(٦٥) هو حماد بن زيد بن درهم الأزدي البصري، أصله من الفرس، ولد بالبصرة سنة ٩٨هـ/٧١٦م، وكان من كبار محدثي البصرة وفقهائها، فقد بصره في آخر حياته وتُوفي سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م. ابن سعد: المصدر السابق، جـ٩، ص٢٨٧.
(٦٦) عُرف في المصادر أيضاً بـ (الخزاز)، لكن ترجمته لا تتعد ذكر اسمه .
(٦٧) البرذون : يُطلق على غير العربي من الخيل والبغال، تتميز بعظم الخلقة، وغلظ الأعضاء، وقوة الأرجل، والجمع براذين. مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، القاهرة ،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، مادة (برذن)، ص٤٤.
(٦٨) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: تحقيق/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م ، جـ ٤، ص ٣٨٢ .
(٦٩) سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ٢٤٢ .

(٧٠) ابن عساكر، علي بن الحسين بن هبة الله الدمشقي (ت٥٧١هـ/١١٧٥م): تاريخ دمشق ، ٨٠ جزء ، تحقيق/ عمر بن غرامة العمروي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥م ، جـ٧ ، ص١٢٢ .
(٧١) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي ، فقيه أهل الشام ، وصاحب أحد المذاهب الفقهية الإسلامية المندثرة ، توفي بالشام سنة ١٥٧هـ/٧٧٤م . ابن سعد، المصدر السابق، جـ٩، ص٤٩٤.
(٧٢) المصيصة : أحد أهم الثغور الإسلامية التي كان يُرابط فيها المسلمون في مواجهة جيوش الروم، وقد فتحت في زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بعد سنة ٨٤هـ/٧٠٣م . وهي الآن تقع داخل محافظة أضنة التركية . وقد ذكر ياقوت أن هناك قرية بالقرب من دمشق يُطلق عليها نفس الاسم . ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٦٩ .
(٧٣) سير أعلام النبلاء : جـ ٨ ، ص ٥٤١ .
(٧٤) ابن عساكر : المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ١٢٦ .
(٧٥) راجع على سبيل المثال ما أورده ابن عساكر في المصدر السابق ومنه نقل ياقوت في معجم الأدباء وقد صرح بذلك .
(٧٦) سير أعلام النبلاء : جـ٧ ، ص ٥٦.
(٧٧) المصدر السابق : جـ٧ ، ص ٥٥.
(٧٨) ابن سعد : المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٤٩٦ .
(٧٩) الذهبي : المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ٤٢ – ٤٨ .
(٨٠) جمهور علماء أهل السنة والجماعة يعتقدون بأن " القرآن الكريم " كلام الله تعالى ، وكلام الله صفة من صفاته الأزلية . وبالتالي القرآن غير مخلوق ؛ لأننا لو قلنا بخلقه لكانت بعض صفات الله مخلوقه . أما المعتزلة فقد خالفوا في ذلك وقالوا بخلق القرآن ، بل أوعزوا إلى الخلفاء – بدايةً من المأمون – بفرض هذا الاعتقاد على الناس بالقوة والترهيب ، ودفعوهم إلى اختبار العلماء ليقولوا بقولهم. وتحت وطأة التعذيب لم يثبت على موقفه إلا القليل من العلماء، على رأسهم أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ/٨٥٥م)، وأحمد بن نصر الخزاعي (ت٢٣١هـ/٨٤٦م) . للمزيد انظر/ العكبري ، ابن بطة عبيد الله بن محمد (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م) : الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، تحقيق/ يوسف بن عبد الله الوابل ، ط٢ ، دار الراية ، الرياض ، ١٤١٨هـ ، مج ٢ ، ص٢٩٤ وما بعدها .
(٨١) الذهبي : المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٣٠٨.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً : المصادر العربية -

- القرآن الكريم .
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي أحمد بن محمد العكري(ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م):شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق/ محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، بيروت،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي أحمد بن محمد العكري(ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق/ محمود الأرنؤوط ، دار ابن كثير، ط ١، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، جـ ٢ ، ص ٣٧٠ .
- ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م):وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق/ إحسان عباس دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م .

- ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م): كتاب الطبقات الكبير، ١١ جزء ، تحقيق د/ على محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠١م .
- ابن طباطبا، محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م) : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق/ عبد القادر محمد مايو ، دار القلم العربي ، ط١، بيروت ، ١٤١٨ هـ /١٩٩٧ م.
- ابن قتيبة: عيون الأخبار، دار الكتاب العربي ، بيروت، (د . ت).
- ابن ماجه، أحمد بن يزيد القزويني(ت٢٧٣هـ/٨٨٦م): سنن ابن ماجه ، دار المودة، ط ١، المنصور، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م .
- أبو يوسف القاضي، يعقوب بن يوسف بن حبيب(ت١٨٢هـ/٧٩٨م) الخراج ، دار المعرفة، بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي : صحيح البخاري ، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ .
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨ هـ /١٠٦٥م) : السنن الكبرى ، تحقيق/ إسلام منصور عبد الحميد ، دار الحديث - القاهرة ،٢٠٠٨م .
- التميمي، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم (ت٣٣٣هـ/٩٤٤م) : كتاب المحن ، تحقيق/يحيى وهيب الجبوري ، دار الغرب الإسلامي ، ط٣، بيروت ،١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.
- الخطيب البغدادي ، أبو بكر بن ثابت(٤٦٣هـ/١٠٧٠م): تاريخ مدينة السلام، تحقيق/بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: تحقيق/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١،٢٠٠٣م ؛ سير أعلام النبلاء، تحقيق/ محمد أيمن الشبراوي ، دار الحديث- القاهرة ، ط١، القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- السيوطى ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر(ت٩١١هـ/١٥٠٥م) : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٧٩م .
- الشيرازي ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشافعي (ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م) : طبقات الفقهاء، تحقيق/علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .
- ابن عساكر، علي بن الحسين بن هبة الله الدمشقي (ت٥٧١هـ/١١٧٥م): تاريخ دمشق ، ٨٠ جزء ، تحقيق/ عمر بن غرامة العمروي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥م.
- العسقلاني، ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن على بن حجر(ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م): تهذيب التهذيب، ٤ أجزاء، تحقيق/ إبراهيم الزيبق، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- العكبري،ابن بطة عبيد الله بن محمد(ت٣٨٧هـ/٩٩٧م):الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة،تحقيق/يوسف بن عبد الله الوابل،ط٢، دار الراية،الرياض، ١٤١٨هـ .
- الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي(ت٥٠٥هـ/١١١١م) : مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والأمراء ، تحقيق/ محمد حسن محمد حسين إسماعيل ، وأحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ/١٤١٤م): القاموس المحيط، تحقيق / أنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث - القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- الكردري ، ابن البزاز محمد بن محمد بن شهاب (٨٢٧هـ/١٤٢٣م) : مناقب الإمام الأعظم ، دائرة المعارف العثمانية ، ط١ ، حيدر أباد الدكن ، ١٣٢١هـ.
- النَّسائيُّ : سنن النسائي ، دار مودة ، ط ١ ، المنصورة ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م .
- النووي، محيي الدين يحيى بن شرف النووي(ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م) : صحيح مسلم بشرح النووي، دار أبو بكر الصديق .
- وكيع، محمد بن خلف بن حيان(٣٠٦هـ/٩١٨م): أخبار القضاة، تحقيق/سعيد محمد اللحام، عالم الكتب،(د.ت).
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،(د - ت).

ثانياً: المراجع العربية والمعربة -

- إحسان عباس : الحسن البصري سيرته وتعاليمه وآرائه، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة.
- حسين مؤنس:أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، ط١، القاهرة، ١٩٨٧م.
- عادل علي مفلح الرواشدة: العلاقة بين السلطة والفقيه أبو حنيفة منوذجاً، رسالة ماجستير(غير منشورة)، جامعة مؤتة ، الأردن ، ٢٠٠٦م .
- عبد العزيز البدري: الإسلام بين العلماء والحكام، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
- علاء حسين ترف : أساليب الدولة العباسية في تثبيت السلطة حتى عصر المتوكل (١٣٢هـ-٢٤٧هـ)، رسالة دكتوراه(غير منشورة)، كلية الأداب جامعة الكوفة، ٢٠١٥م .
- عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين ، ط٤ ، ١٩٨١م .
- فؤاد سزكين(دكتور): تاريخ التراث العربي ، ترجمة / محمود فهمي حجازي، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد ابن سعود ، السعودية ، ١٩٩١م .
- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة/ عبد العظيم النجار، دار المعارف، ط ٤.
- محمد زاهد الكوثري: بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

- محمود بشار العبيدي : موقف أهل السنة من السلطة في العصر العباسي الأول، رسالة دكتوراه ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، ٢٠١٥م .
- المعجم الوجيز / ط ـ مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .
- ناجي معروف العبيدي: عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية ، منشورات وزارة الإعلام العراقية ، بغداد ، (د ت) .
- نايف محمد شبيب: النخعيون ودورهم في الحركة العلمية في الكوفة حتى نهاية القرن الثاني الهجري، مجلة مركز دراسات الكوفة ، مج ٢ ، عدد ٥٩ ، سنة ٢٠٢١م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية ـ

- Vasiliev : The Byzantine Empire, Madisom, 1952.